تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان

تأليف الدكتور محمد مصطفى هداره

(١)

على أيدي الباحثين في مصر ، ظفر الادب السوداني بعناية مشهورة. ولا أخالني اجنح للمبالغة ، حين اقول ان معظم ما قدم من دراسات كان من نتاجهم الى حد التفوق على اسهام الدارسين السودانيين أنفسهم .

وربما كان بعض ما كتب لا يخرج عن طوق المجاملة ، أو مجرد تطيقات هامشية تتراكم كحواش حول النصوص ، ولا تضيف شيئا اثيرا يسترعي البال . ولكن هناك ما هو بمثابة المظان الاساسية ، التي يعتمد عليها اساسا في اي دراسة اكاديمية ، او لمجرد التعرف والالمام.

ومنذ ان ذاع بيننا انهماك الدكتور هداره في اعداد بحث ضاف عن الادب السوداني ، حين نشرت احدى الصحف السودانية هذا الخبر في عام ١٩٦٧ ، ظللنا نتوق ونتحرق الى معانقة البحث ، لما تميز به الدكتور من فضائل الباحث الاصيل ، الذي يستطيع من خلال ثقافته وحنكته الاكاديمية ، ان يجبل استكشافات جديدة فيها نكهة الابتكار .

واخيرا صدر الكتاب البدين «٦٤٥ صفحة » عن دار الثقافة ، مصقول البشرة ، قد توزع على ثمانية فصول ، من بينها مقالات سبق نشرها في جريدة الصحافة السودانية ـ بعضها كامل والبعض مزيد عليها ومنقح ـ مثل « دراسة نقدية لكتاب الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي » « ومع قصائد ست للشاعرة الرضية آدم » (١)

ولنبدأ أولا باختبار الاسلحة التي اعتمد عليها في المعركة ، اعني المراجع، ويرصد ثبتها في اخر الكتاب ، نجده خلوا من مصادر هامة ، كان حريا بالمؤلف ان يستفيد منها في تنوير واثراء البحث ، لا في زيادة عدد صفحاته فقط ، ولا ريب ان غيابها ذو تأثير في بنية البحث ، كما يضعف العديد من النتائج والاحكام التي استخلصها أو أطلقها .

واكتفي بذكر ما يلي على سبيل المثال :

(١) الشعر السوداني في المعارك السياسية ١٨٢١ ـ ١٩٢٤ ، وهو عبارة عن رسالة جامعية نال بها المرحوم محمد محمد علي درجة الماجستير من كلية دار العلوم ، وقد اعتمد الباحث على مصادر هامة ، منها مجموعة اشعار في مخطوطة قديمة ، لم يستفد منها باحث سواه، كما انه يركز على الجانب السياسي الذي يوليه د . هداره عناية مميزة في كتابه .

(٢) الشعر الحديث في السودان للدكتور محمد ابراهيم الشوش، مجموعة محاضرات قدمت الى معهد الدراسات العربية العالية ، وقد طبع الكتاب للمرة الثانية عن دار النشر والتأليف بجامعة الخرطوم.

(٣) بحث في مجلة السودان في وثائق ومدونات للدكتور محمد ابراهيم الشوش ١٩٦٣

Some Back grounds on Modern Suclanese Poetry

(٤) دوريات هامة تحوي الكثير من الاشعار والدراسات ، مثل مجلة الرسالة والاداب من جهة ، ومن الجهة الاخرى العديد من الصحف السودانية ، خاصة ماصدر منها ابان فترة الخمسينات التي يغدو ضربا من المحال تناول تيار الشعر الواقعي بالدراسة ، دون الرجوع اليها ، وليس هناك ثمة دراسات تغني عنها .

ولهذا اذا قال دكتور هداره : « وعندما تجمعت بين ايدي مادة صالحة لدراسة الشعر العربي المعاصر في السودان ، اتجهت الدراسات المماثلة لاستجلي طرق تناول اصحابها لهذا الشعر ، فوجدت ان الدراسات الجادة الجديرة بالذكر ثلاث : الاولى للاستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين « تاريخ الثقافة العربية في السودان » .

والدراسة الثانية للاستاذ الدكتور محمد النويهي وهي : «الاتجاهات الشعرية في السودان ». اما الدراسة الثالثة فهي رسالة جامعية بعنوان: « الشعر الحديث في السودان » للاستاذ عبده بدوي ... وقد حاولت في هذا البحث ان اقدم صورة متكاملة للادب السوداني الحديث مرتبطا بحياة الناس ... ولكن كنت ارجو ان لا ادع ديوانا مطبوعا او مخطوطا دون ان اعكف عليه ، ولكن حالت دون ذلك عوائق يعرفها الدارسون ، ولا اظن ان ما فاتني قد ترك جانبا من السواد في الصورة التي رسمتها للشعر السوداني الحديث لان القدر الذي اطلعت عليه ـ وهو اوسع مدى من كل البحوث التي سبقت هذا البحث ـ كفيل بوضوح الصورة ونقائها (٢)

فاننا نقول ان من العسير الاقتناع بصحة هذه الاراء ، لان :

(أ) هناك دراسات جادة لم يطلع عليها اطلاقا ، ومن ثم تبطل دعوى الدراسات الثلاث

(٢) بعض الدراسات الثلاث اعتمد على مراجع لم تتوفر لهذا البحث

(٣) اقرب هذه الدراسات يقف في حدود عام ١٩٥٧ .

ومن هنا اغفل ـ او غاب عنه ـ الوجوه الجديدة والمشرقة في دنيا الشعر السوداني ، ولذا انهك المصادر التي وقعت في يده ، الى حد اعادة استنساخها او اجترارها (٣)

(٢)

في الفصل الاول والثاني « المجتمع السوداني وبواكير النهضة » و « جوانب من الصراع الفكري في المجتمع السوداني » تبدو المعالجة اقرب الى الاقتضاب والمرور العابر بالفترات الحاسمة ، ويلاحظ انها تقريرية نقلية اكثر من ان تكون ذات طابع تحليلي نفاذ ، اميل الى الاكثار من النصوص حينما تلامس فترة بعيدة زمنيا ، واميل الى الايجاز والاختزال كلما لامست الفترات القريبة .

واذا كان المراد ابراز الخلفية الحضارية للمجتمع السوداني في مرحلة بعينها ، فان هذه الطريقة الاستاتيكية لم تنم عن ثمار جديدة ، ولما تتجاوز ما حققته دراسات تاريخية معلومة ، ان لم تقصر عن باعها .

(٣)

اثر احراق المسجد الاقصى ، نشرت جريدة الصحافة قصيدة « عند الافدار » للدكتور عبدالله الطيب « مهداة الى المسجد الاقصى »

هي الدنيا وما شيء بباق وما أدنى الفراق من التلاقي (٤)

وكان من رأي الدكتور هداره حين تصدى لها بالنقد :

« انها قصيدة فقيرة فقرا مذهلا في ناحية الصورة الشعرية ، والسبب انها تجنح الى طريقة انشائية تقريرية لا تدع مجالا لتبلور الفكرة في اطار تصويري . (٥)

وقد قام نفر من الادباء السودانيين بالرد « اما اتهامه القصيدة بانها خالية من الصور الشعرية فهو دليل آخر يؤكد لي سوء فهمه للشعر العربي (٦)

ورغم ان ظروفا غير سليمة أحاطت بالمعركة ، لا تخلو من جور عن درب الموضوعية اللاحب ، الا ان الدكتور ظل هادئا وموضوعيا ، هادفا الى تطبيق ما يراه من قيم نقدية على القصيدة « ان اثبات علم الدكتور عبدالله الطيب الواسع باللغة لا يعني اثبات شاعريته ، بل لعل الامر يؤدي الى النقيض فما رأينا علماء من قبل يجود شعرهم » (٧)

ولكنه في الكتاب ، اذ يتناول « عبدالله الطيب المجذوب او الكلاسيكية المتكلفة الزائفة » يجنح الى ابداء اراء فيها يدل عن القصد المنهجي ، يبدو كمن يصدر عن حماس « ولكنه ـ عبدالله الطيب ـ في حياته الخاصة لا يقيم وزنا للدين » (٨) ، وما كان اغنى د. هداره ـ

وهو اسجح خلقا واسمح روحا ـ عن مثل هذه السقطة ، وهي نيل شخصي غير كريم ، لا يخدم قضية الكلمة النبيلة ، ولا يدخل في باب النقد الموضوعي . اننا نخطىء كثيرا ونعجز في نهاية المطاف لا عن اثبات ذلك فقط ، بل عن تحقيق اي انتفاع منه . ويمضي ليقول ان القارىء « لشعر عبدالله الطيب ـ ان كان مضطرا لقراءته ـ نراه يستخدم الشعر أداة للتسلية وازجاء وقت الفراغ اتى حد الاعلان عن معجون اسنان (٩)

ويتعمد ان يقتطف رأيا لاحمد ابو سعد ، ربما من اجل العبارة الاخيرة « راح يهاجم شعبه ويصفهم بانهم بغاث وتوكى ، الا سامح الله الدكتور ، وما هكذا يكون عبيد الله الطيبون » (١٠) بل جنح الى المغالطة « وهو يدعي لنفسه اصولا عربية عريقة » وفي الوقت نفسه يثبت النسب العربي لواحد من اسرة د. الطيب هو محمد المهدي مجذوب .

ومن الممكن ان نحصر الاراء النقدية بعد انتزاعها في انه « يعيش في اطار شعري قديم ، فهو ان عاش بجسمه في القرن العشرين ، الا انه بروحه وفكره يعيش في العصر الجاهلي ، انه يتباصر بالغريب وصانع الخ (١١)

لنجد ان هذه الاراء ليست جديدة طالعناها من قبل عند طه حسين « يصطنع لغة واساليب لا يذوقها الا الاقلون الذين يذوقون الشعر العربي القديم والقديم جدا ، هذا الذي نقرؤه للجاهليين والاسلاميين من شعراء القرن الاول والثاني ... انه شاعر بدوي الثقافة .. بدوي النشأة يشق عليك انت في كثير من الاحيان ان تسايره او تتبعه لانك تشعر بالحاجة لتبحث عن هذا اللفظ او ذاك في معجم من معجمات اللغة (١٢)

(٤)

من الممكن ان نجد قسمات رومانسية أو واقعية في اشعار محمد المهدي مجذوب : اما ان نزعم له الاتصاف بكل مزايا هذا المذهب او ذاك فان في هذه المحاولة بعدا عن الحقيقة ، هو اقرب الى وضع الجسد داخل « قميص حديدي »

« فهناك شاعر معاصر يمكن ان يضم الى هذه الحلقة ايضا ، باعتباره مترددا بين الرومانسية بكل مقوماتها ، وبين الواقعية بكل اتجاهاتها في المضمون والشكل ايضا هذا الشاعر هو محمد المهدي مجذوب (١٣)

وهذا افتراض خارجي لا ينبع من تتبع دقيق لاشعاره « بكل مقوماتها » « وبكل اتجاهاتها في الشكل والمضمون »

ومن الصعب ان ندعي للمجذوب ـ شأن الكثير من الشعراء ـ الانتماء الى مذهب فني بعينه ، لان نتاجه في تكوينه الباطني يحوي ملامح خاصة ، تتطلب ان ننظر اليها من الداخل ، بدلا من ان نخضعه قسرا لافتراضات ، هذا الشاعر « الرومانسي الواقعي » عند هداره ، نجد السمات التقليدية من اهم مكونات شعره ، فقد وقف على الاطلال

لمن طلل وقفت عليه صبحا يذكره الحداء هوى قديما (١٤)

بل اننا في قصيدة واحدة « ماتم الشريف الهندي » نجد هذه السمات التقليدية (١٥)

(١) الثورية

انت للحزن يا سيوف وقد يشفى جماح السيوف كرب الحزين
غاب « هنديك » العتيق فلا تأس اذا غبت بعد في الجفون
حيث ان لهنديك معنى قريبا وآخر بعيدا هو المرثى الهندي

(٢) الاحتفال الواضح بالجناس

هام في الليل هاتفا بالتراتيل هتاف النسيم بالنسرين
وطوى الصالحات دهر على الاحسان والصالحات غير أمين
وطني بعد يوسف مثل يعقوب ومادار يوسف بشطون

(٣) التضمين

رضى الله عنهم ورضوا عنه وسروا قلوب حورعين
يضمن الآية الكريمة « رضى الله عنهم ورضوا عنه »

اردت من ايراد هذه النماذج اثبات بعد ذلك الحكم عن الحقيقة ، بتبيان تناقضه مع اشعار المجذوب .

(٥)

ان هذا الكتاب من المؤلفات القليلة التي تعرضت لدراسة الواقعية في الشعر السوداني ، وكان حريا بالعمق ، لولا قلة مصادره ، واعتماده على بعض الشعراء ، وعلى جزء من انتاجهم ، واهماله بعض الشعراء ، واهتمامه بالتعليقات والنظر الطفيف .

لان الواقعية في الشعر السوداني ترتبط فنيا بولادة ونمو الشعر الحر الذي هو ابنها الشرعي ، وترتبط حضاريا بالظروف السياسية والاجتماعية التي اعتملت حركتها في جوف المجتمع بعد الحرب العالمية الثانية .

هذا بعض ما عنّ لي ، ولا اخال ملاحظاتي ـ وقد انحصرت في جانب معين ـ تنتقص من قدر الكتاب ، وهو اسهام طيب جدير بالقراءة والتقدير .

واختلاف الرأي لا يشوب ودادنا وحبنا لاستاذنا العظيم الذي علمنا الصراحة في ابداء الرأي .

احمد محمد البدوي
الخرطوم ـ وزارة التعاون والتنمية الريفية

الهوامش

(١) جريدة الصحافة السودانية ٤ اذار ١٩٦٧ .
(٢) تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان ص ٧ ـ ٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ٤١٥ ـ ٤٣٦ قارن ما استشهد به من ديوان غابة الابنوس .
(٤) جريدة الصحافة ٩/ ٩/ ١٩٦٧ ص. ١.
(٥) المصدر نفسه ١٦/ ٩/ ١٩٦٧ .
(٦) المصدر نفسه ٣٠/ ٩/ ١٩٦٧ .
(٧) المصدر نفسه ٧/ ١٠/ ١٩٦٧ .
(٨) تيارات الشعر ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .
(٩) المصدر نفسه ص ١٥٥ .
(١٠) المصدر نفسه ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .
(١١) المصدر نفسه ١٤٦ ـ ١٦٠ .
(١٢) من ادبنا المعاصر ص ١٣٥ ـ ١٥١ ط دار الآداب ١٩٦٦ .
(١٣) تيارات الشعر ص ٣٢٣ .
(١٤) نار المجاذيب ص ٥٣ .
(١٥) نار المجاذيب ص ٥٤ ـ ٥٦ . هذه الملاحظات من بحث لكاتب المقال

قصص عراقية معاصرة

اختيار ودراسة : فاضل ثامر وياسين النصير (*)

أخال ان صدور هذا الكتاب (قصص عراقية معاصرة) الذي يضم بين دفتيه ست عشرة قصة عراقية من نتاج الادباء الشباب ، لا يشكل في دلالته ومنحاه ردا ضمنيا على ما استهدف به هؤلاء على يد الجيل الذي سبقهم من الادباء من اتهام مفاده ان ممكناتهم قاصرة في مجال الخلق والابداع ، وانهم لا يعدون ان يكونوا في جماع معطياتهم نقلة عما تقذفه المطابع من مترجمات الادب الوجودي الذي استتبعته طبيعة

(*) القصص المختارة هي بأقلام الاساتذة : محمد خضير ، فازي العبادي ، موسى كريدي ، جليل القيسي ، احمد خلف ، جمعة اللامي ، موفق خضر ، سركون بولص ، عبدالرحمن مجيد الربيعي، عبد الستار ناصر ، يوسف الحيدري ، فهد الاسدي ، محمد كامل عارف ، خضير عبد الامير ، غانم الدباغ ، محمد عبد المجيد

الحياة الغربية وما يعج في جنباتها من التيارات والتمزقات ، واخيرا فانهم جنحوا الى تقليد الغربيين فيما يعتمدونه من السلوك والتصرف الشخصي من تصنع هذه العادة او تلك وتكلف هذا الطور او ذاك ، وكذا فقد غلب على نتاجاتهم عموما ضعف في الاداء وركاكة في التعبير وخروج عن قواعد اللغة وتفريط بها ، فهم لم يستقوا من النبع او يمتوا الى الجذور بحال . وحكاية ولادة جيل الستينات من ادباء الشباب في العراق ، ممن يفعوا في اعقاب ثورة الرابع عشر من تموز ، حكاية مريرة مؤلمة ان كنت لا تعرف ، ففي غمرة الاحتراب العنيف الذي استعر ضرامه بين الاطراف والقوى السياسية التي التحمت صفوفها قبلا ، تنفجير الثورة ، والذي اسهمت فيه الفئات الرجعية من وراء ستار ، ونجم عنه تبعثر كثير من الجهود والطاقات وتبددها في كل وجهة ، وكان الاحرى ان يفاد منها وتسخر هي الاخرى ، فيما يحقق اهداف الثورة وينمي مكاسبها ، ولد هذا الجيل المخيب ، العاثر الجد ، فيما تطلع صوبه من أمل وتاق له من رغبة وراءه من طموح ، ولزمه ان يدفع الثمن فادحا من كيانه وعصبه معا ، وأحوجه ان تتشبث خطاه في زحمة الطريق الشائك ، مما لا قبل له به احيانا او تنزر طاقته منه ، وما كل من صدع برأي او اعتمد منزعا ، في احايين اليسر والانفراج ، قادر مطيق للصبر والجلاد ابان الانحسار والضمور ، فمن بين اصحاب العقائد والنزعات نسبة غير محددة لا تخفى دوافعها وتطلعاتها للوجاهة والظهور بحال . فكان لزاما وقد دفع هذا الجيل ضرائب شتى ، اذا جاز التعبير تكفيرا عما اجترحه هداته الذين يأتم بهم ويمتثل بوحيهم من اخطاء او هنات ، سواء أكان من بينها ما تسبب فيه عن عمد او خطالة في الفهم والتفسير للحوادث والوقائع الجارية واعتماد الموقف الصحيح منها ، وتنسحب هذه القولة وتمتد لتشمل كافة الاطراف والقوى ولا تختص بنفر منها دون آخر ، أقول كان بدهيا ان يلفي هذا الجيل ضالته في اعتناق المذاهب الانفرادية وعقائد التصوف ويترسمها في وجهاته ومسالكه وضروب استجاباته حيال الظروف المحيطة به ، ويظل ابدا باحثا عن الغرابة والتميز في جماع اهتماماته وتطلعاته ، فان طفت النزعة الرومانسية على نتاجات الادباء الفرنسيين في اعقاب ثورتهم الكبرى وما ترتب عليها من احداث دامية ، حيث تعلقوا بالطبيعة وهاموا بالعزلة واسرفوا على نفوسهم بالحزن والكآبة مما يعرفه القراء عموما . فان التباين في مجال الثقافة والفكر ، بين واقعين تاريخيين متباعدين، لا بد وان يسمح بطبيعة الحال بمجاوزة ادبائنا المحدثين لما تولت عنه الرومانسية من مواضعات وأسلفته من نتائج ، فيعدونه الى التأثر بما عنوا بتدارسه وتشربه من نتاجات العظام دستوفسكي وكافكا وكامو بالاضافة الى مجتناهم من مراجعة لضرب معين من معطيات التراث قيل لهم عن ذويه انهم سلكوا في عداد المتمردين الرافضين لواقع عصرهم بقيمه وتقاليده ، وانهم مثلوا التأزم في أقصى آماده وأبعد حدوده .

وكان حريا بالذين يرفعون اصابعهم بالاتهام ان يتدبروا هذه الحقيقة الشاخصة ويميلوا الى الترفق وايثار النصح الرقيق والتوجيه الحسن ، بديل السرف في التبكيت والتقريع ، والغمز واللوم ، والا فهذا الجيل الذي لم يمسكه أي اعتبار عن المجاهرة بتخطيه لمعطيات طه حسين ومارون عبود والجواهري على اختلاف وتفاوت بين ما خاضوه من تجارب وامتحنوا به من مكاره واضطلعوا بحمله من تبعات واحتفل به أدبهم المتباين الموحيات والمرامي ، من دلائل الخلق ومياسم الابداع ، قد لا يني — على سبيل رد الفعل او نتيجة امعان في العناد والمكابرة — عن انكار دالات محمد مندور وتوفيق الحكيم والبياتي على اغناء حياتنا الفكرية بقيم التجديد والابتكار والانفتاح صوب احدث تيارات الثقافة وطرائق المبدعين في الخلق والتعريف بها ، وفي غاية من الجحود والاستهوان هذه المرة . ولن يتراجع اي منهم متخوفا ازاء اتهام بالقعود عن النضال والنكوص عن مشاركة الشعب العربي في معركته مع العدو الصهيوني ، باعتبار ان ما يؤثرونه من اساليب في الكتابة وقوالب في الاداء وحتى مناهج البحث جار على جادة من الغموض والالتواء والتعقيد والتوعر ، مما يترتب عليه بطبيعة الحال عزلة الاديب عن الجمهور الكاثر وسلبيته بالتالي حيال الاحداث والوقائع ، لافتقاد أدبه وتجرده من عناصر الوضوح والتلقائية وكل ما يدنيه الى القراء ويزيد من اقبالهم عليه .

ورغم هذا فالكتاب الذي نطالع لا يجيء من قبيل الرد ازاء ما يمنى به ادب الجيل الجديد من نقد او مؤاخذة ، فالدراستان النقديتان اللتان كتبهما الناقدان فاضل ثامر وياسين النصير ، اللذان عمدا الى اختيار هذه النماذج الحية مما كتبه ادباء الشباب ، لم تحتفلا بالتأمين على صحة منطلقات كثير منهم فيما يعتمدونه من مواقف او يؤثرونه من اساليب في الكتابة وقوالب في النسج القصصي ، ومعولهما في ذلك على المنهج الفكري الذي يترسمانه ويصدعان به في غاية من التشدد وأخذ النفس بالمحاسبة العسيرة في حالة التفريط والاخلال بلوازمه وشرائطه او توهم ذلك على ما يبدو ، وكذا أمكن حصر وتحديد جماع ما توخياه في دراستيهما وتطلبا الكتاب القصصيين بمراعاته ، في تخير شخوص وابطال قصصهم من بين افراد الشعب المكدودين المرهقين في حياتهم اليومية ، واستيحاء ما يصطرع في اعماقهم من المشاعر والاحاسيس ، مع التزام الفنية في التعبير بديل ما كان يحتذيه جيل الرواد من القصصيين العراقيين من الاصطلاح عليه من مواضعات البداية والعقدة والنهاية ، متغافلين عما حققه واوفى عليه القاص عبد الملك نوري عبر مجموعته — نشيد الارض — من خصائص الفنية الآسرة باعتماد ما اسماه المحدثون بالتداعي والمونولوج الداخلي واللاوعي !.

وكذا شاء الاستاذ فاضل ثامر تصنيف القصص المختارة في خانتين: اقاصيص ذات طابع تجريبي واخرى ملتزمة بالمنهج الواقعي ، وباعثه على هذا التقسيم أنه الفى كتاب المجموعة الاولى يعنون بالتعبير عن تجارب تفتقد طابع التعميم والشمول وان ما تزخر به من تمثيل حالات الاحساس بالرعب والخوف من المجهول لا يدني افرادها من الواقع وينفي عنهم سمة التجريد والافتعال ، ومن هنا استدلاله على تأثرهم بنتاجات كافكا ، دون ان يحوجه الشاهد البين والدليل الواضح ، وما ادع هذا الايماء لترسم بعض ادبائنا وجريهم على منوال كافكا في اعتماد الاسلوب الغامض والحبكة المعقدة وايغالها في التجريد دون الاستلهام من الواقع المحتدم بمشكلاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، دون الاستطراد الى ما ظفر به هذا الاديب العظيم من عناية نقادنا بتحليل ادبه وتفسيره وجلاء ما ينطوي عليه من الرموز والمداليل ، بدءا من مقالة الدكتور طه حسين التي استهل بها عدد مجلته الكاتب المصري في مارس ١٩٤٧ م ، فقد توفر على تلخيص وتبسيط فحاوي ثلاث من رواياته المشهورة : القضية ، امريكا ، القصر ، ونوه بحرص كافكا على تسمية ابطال رواياته هذه بحرف الكاف ، ومفاد ذلك انه يخص نفسه بهذه التسمية ويعبر عنها فيما ينسج من الوقائع والتصورات ، وانك مهما يصادفك في قراءتك لهذا النتاج العسير من الاستغلاق والغموض وغرابة الاحداث لحد الظن او التسليم بتفاهتها، لا يشق عليك النفاذ الى ما يكمن في نفس كاتبها من الحيرة والضيق بالوجود ورغبة التطلع الى معرفة خالق هذا الكون ، ومصدر هذا العذاب المتصل انه انسان عانى من الشقاء والالم ما يشق على الامكان وتكل عنه الطاقة ، ولا ابغي التفصيل في طبيعة نشأته اليهودية وحقده على أبيه التاجر الذي درج في حياته على الزيف والخداع وما كتب له ان يقاسيه من فشل في تحقيق رغبته في الزواج او يمتحن به من مرض ، واخيرا ما توافر له الى جانب ذلك او رغمه في ادنى حال من نبوغ ادبي وذكاء مشبوب جعلاه متميزا بين أقرانه متفردا عنهم ، ويخلص الدكتور طه حسين في خاتمة دراسته الموجزة والعميقة معا الى ما يمكن ان يشبه به كافكا

شاعرنا المعري في الكثير من اطواره وعاداته ، وحتى في ما تخيره لنفسه وآثرها به من اساليب التعبير وطرائقه الفنية على فرط اختلاف وتباين بين ما عني به كلاهما من ألوان النتاج الادبي وضروبه ، وكاد ان ينص او يملي قولة محددة بخصوص ادب كافكا جملة : انه لا يكاد يبعد عن الواقع او يوغل في التجريد ، وانه يمكن بشيء من الرويه والاناة وامعان القراءة تفسير رموزه وايماءاته ، فيغدو محببا مستهوى رغم تمثيله وتجسيده للقتامة والتشاؤم . واخيرا يطالعنا تقديم الدكتور مصطفى ماهر لرواية القضية المترجمة بقلمه ، اذ يعترف بدالة الاستاذ محمود العالم عليه في الاهتمام بآثار كافكا ، ليفرغ من هذا التسجيل والاقرار الى الاستطراد بصدد حياة الكاتب الفنان واجمال عناصر ادبه فيفيد انه لم يعدم في معطياته هدف اصلاح بيئته الاجتماعية فكان شديد الضيق بتحكم الاقوياء في رقاب الضعفاء ، وكل ذا يهون وتسهل موافقة الكاتب عليه والتسليم بصحته ، لولا انه يعدوه الى القول ، « برفضه لانقسام المجتمع الى قليل من المرفهين وكثير من المعوزين » وبحسبك ان تحكم على مدى « ايمانه بحتمية الاصلاح الاجتماعي والسياسي والثقافي وحتمية الاشتراكية » رجوت ان لا يكون هذا الاستدلال نتيجة مسايرة لآراء الاستاذ محمود امين العالم الاجتماعية والسياسية ، فما دام الأخير منتظما في رعيل رواد الاشتراكية ودعاتها ، وانه نصح المترجم او تطلبه بدراسة كافكا والتعريف بنتاجه وفلسفته ، فمن قبيل الحتمية على هذا ان ينسلك في عدادهم ايضا !

فان يجهد الاستاذ فاضل ثامر نفسه في الانحاء على كتاب القصص التجريبية المحتذية المترسمة لطريقة كامو او كافكا في النسج القصصي وتخير الابطال وتصوير تجاربهم وصراعاتهم ، ويؤاخذهم ، في غير ما انكار واغفال لانتظامهم ـ اي الكتاب ـ في عداد الملتزمين بواقعهم ، على ما اسماه كلفا بالتجريد آنا او جنوحا للتصوف في آخر ، خاصة بالنسبة لقصتي جليل القيسي واحمد خلف ، مع ما احوجه من ضرورة تلمس بواعث ظهور التجربة الصوفية في مأثوراتنا الادبية وما قدمه مريدوها واشياعها من صور الاستشهاد والتضحية ، دلالة ارتباطها بالواقع وانطلاقها منه ، في غاية من الحزم والجدية ومن غير احساس بالسأم والملال والضيق بالتبعات ، واخيرا احتفال معطياتها عموما بنبرة الصدق وحس الفجيعة ، اقول ان مجهود الاستاذ الناقد في التامل من هؤلاء الكتاب التعبيريين ان يتجاوزوا هذا الحد من المراس والمعاناة ويروضوا كفاياتهم ومواهبهم على اقتفاء منهج الواقعية الاشتراكية ، يفتقد مبرراته ودواعيه حتى بالنسبة لمعارضة مدرسة كافكا في اشكالها الصياغية ورموزها الموحية ، وفي حالة التعويل على تحليل الدكتور طه حسين الدال على امتلاء وجدان الكاتب الفنان بألغاز الوجود واسراره المحجبة وفرقه منها ، وتدبر قولة الدكتور مصطفى ماهر وتنضاف اليها نصيحة الاستاذ العالم بتدارسه ونشر فكره بين ابناء لغة الضاد .

يجوز على هذا ان تتوافر لهذه القصص خصائص « الجدة والحيوية والشرعية » مما رامه منها وتلمسه فيها ، وأخال ان مدرسة الواقعية على تباين وجهاتها وتغاير مقاصدها ، لا تفرط بدواعي القصد والتسمح ومجانبة القسر والتشدد وتطلب الاخرين بما يقصر امكانهم عنه وينزر حظهم فيه .

وبالنسبة لدراسة الاستاذ ياسين النصير المعنونة « نظرة الى واقع القصة القصيرة في العراق » ، فقد حدد لاتجاهات ثلاثة للقصة القصيرة : اتجاه تقليدي سردي يعنى بالنقد وتكلف الوعظ في قالب القصة ، واتجاه الواقعية الحديثة ، وتيار الوصف ، وبالنسبة للاتجاه الثاني فقد استدل على وجوده في النتاجات القصصية لفترة الخمسينات من ناحية تناول وضعية البطل الثوري المنتمي « الذي يضع على الرف همومه ومشاكله » مع التطور التدريجي والبطيء معا من ناحية الاسلوب ومجاراة الاشكال الحديثة نتيجة التفتح على « تيار الوعي والتداعي عند فرجينياوولف وجيمس جويس من جهة والاهتمام بالبطل الجماعي والامزجة المختلفة عند تشيخوف من ناحية اخرى » ، ومجمل نظرة الاستاذ النصير الى فنية القصة وجماليتها ان تغتني « بالشعر والرمز والايماء وتعدم السرد والوعظ والنقد المباشر » ، ولصعوبة الايفاء بهذه الشرائط كلها في قصة واحدة بالنظر لشدة التأثر برواسب الاتجاه السابق والوقوف عنده احيانا ، فقد اصطلح على « ظهور تيارين او خطين ضمن اتجاه الواقعية الحديثة : احدهما تجريبي يستخدم تيار الوعي والتداعي خاصة عن فؤاد وعبد الملك ، والاخر واقعي نقدي يهتم بمشاكل المجتمع وينتمي اليه فكريا ويعاني من ترسبات السرد خاصة مشاهد الوصف عند الدباغ ولطفي والصقر وفرمان »

واود ان لا اجوز هذه الاقوال بدون تعقيب يسير حولها ، فلفظة : التجريبي او التجريبية التي اقتبسها الكاتبان من الناقد جورج لوكاش الذي وسم بها كتابات جيمس جويس ، لم يتفقا في حال استخدامها في التعبير عند اعداد الدراستين اللتين يحسن ان تنسجما وتتوحدا في الآراء والاحكام ، وتنهجا على الدقة والتركيز والخصوصية من ناحية الاداء والصياغة ، وقد الفينا الاستاذ فاضل ثامر من قبل يعول على هذه اللفظة في تحديد وتشخيص القصص المجانبة للمنهج الواقعي (قصص جليل القيسي ، احمد خلف ، جمعة اللامي ، سركون بولص ، عبد الستار ناصر ، موفق خضر) ، ويلحق بهذا أن صنوه سجل قبل تعريفه بمسار الواقعية الحديثة ما نصه : « اقترب عبد الملك نوري وعيسى الصقر وآخرون من الشعب وحاولوا ان يجيبوا على أسئلته المطروحة امام واقع الخمسينات ، لكنهم أهملوا الى حد ما فنية التعبير » .

وبخصوص الاقتراب من فنية القصة او اهمالها بالنسبة للقاص عبد الملك نوري ، كان الاحرى بالكاتب ان لا يرسل قولته او حكمه بدون تثبت او وثوق مع وجوب التوفل على الامثلة والشواهد ان لزم الامر ، اذ لا يمكن انكار دالة هذا الرائد على تصوير الاسلوب القصصي في القصة العربية عموما نتيجة انفتاحه على تيارات الثقافة الاوربية وتأكيده على « اهمية المونولوج الداخلي » في عطائه ، كما يجدر التنويه بهذا الصدد بقصة (الظلام المخمور) للاستاذ غانم الدباغ ، فقد توافرت لها عناصر الفنية وجمالية التعبير واستخدام طريقة التداعي واللاوعي ، وتعتبر الى جانب ذلك وثيقة هامة في ادانة الوضع القائم قبل ثورة الرابع عشر من تموز ، والاقدام على نشرها في مجلة الآداب وقتذاك يؤلف جراة نادرة لا تقل شأنا عن جرأة الاستاذ ذي النون ايوب في نشر قصته (الرمس القائم) في المجلة نفسها في اعقاب انتفاضة الشعب العراقي في تشرين الثاني عام ١٩٥٢ م ، حيث استوحى رموزها ودلالاتها منها .

ويضيف الدارس بعد ايمانه لتياري الواقعية الحديثة في القصة العراقية : « كانت الاوضاع الاجتماعية لا تعطي فرصة للكاتب المنتمي للخلاص من اسارها ، ولا تدع التيارات الاجنبية التجريبية ذات الاطلاع والثقافة تهرب من اسارها ، فالمزاوجة ضمن قصة واحدة بين تيارين يقفان على أرضيتين مختلفتين كان ضربا من الخيال » ، فالنكوص عن مواكبة التيارات الاجنبية التجريبية ، اضر بتكنيك القصة العراقية في الخمسينات ، وكاد يجعل منها امتدادا لمحاولات الرواد في ملة الاستاذ النصير ، ولا ادري اي تيار أجنبي تجريبي يلزم القاص العربي مجاراته والاستبصار به ، وأي تيار أجنبي تجريبي آخر تنتفي حاجته له ، وما اسماه بلا منتمي كولن ولسن ورؤى كافكا السوداوية للعالم وعبثية كامو ، هذه كلها تنتظم في قبيل التيارات الاجنبية التجريبية ، وهي من ناحية اخرى متداخلة مترابطة في فحاويها ودلالاتها مع ما هلل له

في موضع سابق ، كما أسلفنا ، من فتوحات جويس وفرجينيا وولف التي ساعدت « القاص على تطويع قضايا الواقع الى مجاراة المدرسة الحديثة » ، حتى اذا اقدم الادباء الشباب على ترسم وجهاتها ومساراتها في معطياتهم الجديدة ، ظهر في عرف الدارس هذه المرة آن « ولادة هذا الجو قد تم من خلال الصراع الدائر بين اقوى السياسية انذاك ، والذي سبب لحد ما انتعاش الثقافة الغربية المحملة بمثل تلك المواقف، مما حول القاص عن خطه الصحيح ، فبعد ان اصبح الواقع بعيدا عن النقد اصبح القاص قريبا الى دواخله وقضاياه » ليخلص من ذلك ، وفي موضع تال ، الى القول : « استطاع هذا الجيل ان يجد انعطافا في شكل القصة ومضمونها ، لكنه لم يستو بعد على أسس ثابتة ، لان جذوره نبعت من أسس غير ثابتة ، فهو ليس وليدا لتناقضات اقتصادية او طبقية ، بل كان وليدا لنزوات كتابية ورؤى عصرية قصيرة المدى مفروغة من فهم العصر كليا » وبهذه المحصلة يلتقي بخدنه الاستاذ فاضل ثامر في رفض الاتجاه الكافكاوي في كتابة القصة .

واخيرا فالدراستان لا تعدمان الجدية والثقافة والاطلاع وحسن التوجيه ، والرغبة المخلصة في الاستواء بالقصة العراقية على جادة الواقعية والخلق الفني والاهتمام بقضايا الحياة والانسان .

العراق ـ الهندية — **مهدي شاكر العبيدي**

هـذه فلسطين

تأليف الاستاذ حسين التريكي

« ربي اجعل مني رجلا يزرع العزلة .. واجعل كل من يستمع كلمتي يهرع الى بيته قلقا مرتاعا » ، هذا دعاء فاه به الشاعر الفرنسي بول كلودل . لقد تردد صدى هذا الدعاء في ذاكرتي واهتزت له اعماق نفسي ما ان فرغت من قراءة الكتاب الذي الفه السيد حسين التريكي.

لقد تعودنا فيما مضى ان تقدم لنا فاجعة فلسطين خلال كتب تتسم بطابع المجادلة الملتهبة حينا وجفاف الرواية احيانا ، لا تترك في انفسنا الا مجرد الاحساس بالسخط سرعان ما يزول او مجرد تصور ذهني عن عمل خبيث لا يعتمد على النص المركز .

لاول مرة نجد انفسنا امام عرض يتسم بالشمول وبغزارة المستندات والوثائق التي لا يتطرق لها الشك ، عرض يسوقه المؤلف بمنطق لا هوادة فيه ، يعطينا صورة شاملة عن فاجعة تعمدها قوم منذ قرنين من الزمن نوشك اليوم ان نراها تلم بنا .

اننا نعلم الان والقلق يضغط على انفاسنا .. قلق يتجاوز حدود اقطارنا العربية ليشمل مستقبل الانسانية جمعاء ..

.. ان ما كان يعتبره اباؤنا وما اعتبرناه نحن حلما نسجه خيال مجنون يوشك ان يتحول الى واقع الغد القريب بعد ان وصلت الصهيونية الى حد من القوة يمكنها من ان تضرب ضربتها القاضية .

فبعد ان استحوذت على ذهب العالم ، واستأثرت بوسائل الاعلام، وافسدت قيم الحياة ، واشترت الذمم ، ووضعت اعوانها في كل الاماكن الحساسة من عالم السياسة والحكم ، نراها تتأهب للسيطرة على العالم .

ولقد كشف لنا الاستاذ حسين التريكي في كتابه الدسائس الجهنمية التي حاكتها الصهيونية طوال القرنين الماضيين وابرزها لنا مدعمة بشهادات اليهود وبمستندات اوروبية وامريكية ووثائق دبلوماسية رسمية لا يمكن انكارها .

اننا امام مؤامرة تهدف الى تمكين الصهاينة من ممارسة « حقهم » في تسخير بني الانسان لخدمتهم باعتباره ملكا لهم بموجب ان « الارض وما فيها ملكا » لـ « شعب الله المختار » .

ما ابعدنا ـ والحالة هذه ـ عن صورة ذلك الشعب الصغير المعذب الذي يبحث عن مأوى له في ارض الاجداد !

انها الخديعة تلك التي يقدمها الصهاينة زاعمين ـ ضد كل حقائق التاريخ ـ ان لهم حقا في ارض لم تطأها قط اقدام اجداد اليهود الاشكنازيين الذين اغتصبوا فلسطين ويحكمونها اليوم . ان هؤلاء الاحفاد لقبائل الخازار النازحين من أواسط اوروبا والذين اعتنق اجدادهم الديانة اليهودية في القرن الثامن الميلادي لا ينتمون الى السامية باية صلة . وان القساوة التي عاملوا بها عرب فلسطين ومعاملة الذل التي يطبقونها على « اخوانهم » اليهود السفارديين لتحمل علامة «اللاسامية» البغيضة .

وفوق ابناء فلسطين العرب .. فوق اولئك الذين طردوا من ديارهم وحكم عليهم بالشقاء والتشرد ، لنا ان نفكر في اليهود الذين يسكنون مختلف اقطار العالم .. اولئك الذين يثبت لنا الاستاذ حسين التريكي انهم في اغلبيتهم ليسوا صهاينة بل منهم من يناوىء الصهيونية ومنهم من يعاملها باللامبالاة ، الا انهم ينتهون في آخر الامر الى شركاء الشيطان .

وفوق تلك الشعوب التي تنهكها الصهيونية باستنزاف خيراتها واستنزاف نخبتها لتغذي اسرائيل وتمد هذا الجسم المصطنع بالسلاح .. لنا ان نفكر في المستقبل الذي ينتظر بني الانسان غدا حيثما كان اذا ما استجاب القد الى غاية للصهيونية المفزعة .

حينئذ كل ما جمعه الانسان منذ ان دخل التاريخ من ثروات ثقافية وقيم اخلاقية .. كل الانتصارات التي احرز عليها في زحمة من الآلام والآمال .. كل العزة كل الكرامة كل الحرية سوف تضمحل .. وحينئذ يدخل الانسان في عهد جديد من العبودية عندما يتحول عبيدا لـ « شعب الله المختار » .

والاستاذ حسين التريكي الذي يدق لنا أجراس الخطر في كتابه « هذه فلسطين » عندما يثبت لنا بقوة منطقه ان الاجل المبيت يقترب منا كل يوم انما يدفع بنا الى اوج القلق عن غدنا .

ومن يقرأ كتابه يخرج بهذه النتيجة :

ان مشكلة فلسطين ليست مشكلة عربية وانما هي مشكلة الانسانية قاطبة . لذلك نرى الاستاذ حسين التريكي يوجه الى كافة الشعوب نداءا ملحا لليقظة .. ان المواجهة الاسرائيلية ليست في الشرق الاوسط فحسب بل هي في كل رقعة من الارض .

والعرب في حربهم لانقاذ انفسهم انما ينالهم شرف انقاذ الانسانية .. (1)

تونس — **الهاشمي السبعي**

---

(1) هذا المقال ترجمة عن الفرنسية للمقال الذي نشرته جريدة العمل الصادرة باللغة الفرنسية في تونس